



أثر الإسلام في شعر أبي تمام

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أثر الإسلام في شعر أبي تمام ، الشاعر العباسي المعروف ، إذ تبين للباحث أنّ أبا تمام قد تأثر بالإسلام تأثراً كبيراً ، إذ يكاد الناظرُ في ديوانه لا يجدُ صفحةً أو قصيدةً له إلا وأثر الإسلام والمفاهيم الإسلامية ، واضحٌ جداً فيها

وأثبت البحثُ ، وبالدليل الصريح الساطع القوي ، براءة أبي تمام من تهمة الكفر التي ألصقها به خصومه ومناوؤه . وتهمة ضعف تأثيره بالإسلام ومفاهيمه

وتناول البحث أيضاً صوراً من تأثر أبي تمام بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والقصص القرآني ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والثقافة الإسلامية بصورة عامة .

فقد شغل أبو تمام الأدياء والنُّقادَ قديماً وحديثاً ، واختلفوا
في أصله وتدينه وشعره ، وألفَ بعضهم الكتب التي
تنتقص من أبي تمام وشعره ، من ذلك ما ألفه أحمدُ بن
أبي طاهر (سرقاتُ أبي تمام) الذي قال عنه **أبو علي**
: الحاتمي

(كان يخلقُ أبياتاً يدَّعي فيها سرقَ أبي تمام تحاملاً عليه)
وكذلك **القطربلي** الذي تجاوز الحدَّ في قدحه أبا تمام
وشعره الجيد ، وطعن في ما لا يُطعنُ عليه ، واحتجَّ بما لا
(تقومُ به حُجَّةٌ

أما **الصُّولي** فيمثل الاتجاه الآخر ، إذ يقول في كتابه (أخبار أبي تمام) ما نصُّه : (وقد ادَّعى قومٌ عليه الكفرَ ، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه) . وردَّ على مزاعم هؤلاء بقوله : (فكيف يصحُّ عند هؤلاء الكفرُ على رجلٍ ، شعره كُلُّه يشهدُ بضدِّ ما اتهموه بهِ ؟) .

وقد دفعني هذا القول إلى النظر بتمعن في ديوانه ، بشرح **الخطيب التبريزي** ، فوجدتُ أثرَ الإسلام ظاهرةً كبيرةً في شعر أبي تمام ! وتحققتُ لديّ دقَّة عبارة الصولي الأخيرة التي بدأها مستفهماً : (فكيف يصحُّ ...) ؟

وهذا ما سيتناوله هذا البحث ، إن شاء الله تعالى .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على **ثلاثة** مباحث، على النحو الآتي :

المبحث الأول : تناولتُ فيه أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام .

المبحث الثاني : درستُ فيه الألفاظ الإسلامية في شعره .

المبحث الثالث : وقفتُ فيه عند المضامين الإسلامية في شعره .

: قال المبرّدُ : سمعتُ الحسنَ بن رجاء يقول

(ما رأيتُ أحداً قطُ أعلمَ بجيدِ الشعرِ ، قديمه وحديثه من أبي تمام)

(وهو ، وإنْ كانَ مُحدَثاً لا يُستشهدُ بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فأجعلُ ما يقوله بمنزلة ما يرويه) .

ويقصد الزمخشري بعبارة (بمنزلة ما يرويه) الشعر الذي اختاره أبو تمام في كتابه " ديوان الحماسة " .

وأما أبو البركات بن الأنباري ، فقال عنه :

(كان موصوفاً بالظُرفِ ، وحُسْنِ الأخلاقِ ، وكرمِ النَّفسِ) .

وقد وصفه الحافظ المفسر ابن كثير الدمشقي بالوصف
نفسه

وكان الحافظ شمس الدين الذهبي من المعجبين بشعره .

(وشعره في الذروة ... وكان فصيحاً ، عذبَ العبارة)

المبحث الأول

أثر القرآن في شعره

□ أبو تمام شاعر موسوعي الثقافة ، كثير المعارف ، تمثل معارف عصره ، واستوعبها استيعاباً دقيقاً ، وتعامل معها تعامل العالم الخبير ، فوظفها في شعره توظيفاً ينم عن عبقرية فذة في التعامل معها ، وتشكيل الصورة الشعرية البديعة التي استمدَّ روعتها وبيانها من هذه المعارف .

□ إذ كان أبو تمام ينهل من ثقافة عصره وعلومه وفنونه، و (يقف على ما كان يدور فيها من شؤون الفكر في مسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، يساعده على استيعاب ذلك كله ذكاءً وقادً ، وذهنية صافية ، وحافظة قوية) ، ومعرفة دقيقة وعميقة بأيام العرب في الجاهلية والإسلام . وإذا تصفحت ديوانه وجدت آثار هذه المعارف واضحة جلية بين طيات هذا الديوان الضخم .

غير أنّ هؤلاء أهملوا ، أو كادوا ، أثراً عظيماً في شعره
. يتجلى في أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام

فهو قد يقتبس معنى قرآنياً ، أو يستعير صورةً ، أو يعتمد
ألفاظاً قرآنيةً ، ولا غرابة في ذلك لشاعر عربي مسلم ،
عاش في عصر ازدهرت فيه العلوم ، ورقّت الآداب ،
وتعدّدت الأفكار ، لذلك كانت صورته تعكس مستوى التفكير
الذي وصلته العقول التي تغذت بألوان المعرفة والعلم في
ذلك العصر

وفي هذا المبحث سنحاول الوقوف على أمثلة من هذا الأثر ،
وسنشير إلى بعض الآيات القرآنية التي اقتبس منها
صوره الشعرية التي تبين قدرته الإبداعية ، وتدل على
، مدى استيعابه لمعاني القرآن الكريم

وبذلك تُفقدُ آراء من (ادّعى عليه الكفر ، وجعلوا ذلك
سبباً للطعن على شعره ، وتقبيح حسنه ... فكيف
يصحُّ الكفر ، عند هؤلاء ، على رجل ، شعره كله
(. يشهد بضدّ ما اتهموه به

ولنذهب إلى الديوان ، ونقلب صفحاته ونتتبع أثر القرآن الكريم في شعره ، فأبو تمام في ملحمة المشهورة في فتح عمورية صور الخليفة المعتصم بقوله :

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ

فالمعتصم قاتل في الله ، واستنصر لدينه ، ولو كان في قتاله لغير دين الله لم ينتصر على أعدائه ، ولم يصب منهم مقتلاً ، وقد استمدَّ أبو تمام صورته بألفاظها ومعانيها من قوله تعالى : ((وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى)) [الأنفال / 17] ، وأثر هذه الآية واضح في قول أبي تمام في أبي سعيد الطائي :

رَمَى اللهُ مِنْهُ بِأَبْكَأَ وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

إِنَّ النِّعْمَ تَدُومُ بِالشُّكْرِ ، وَيُنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، فَهُوَ وَحْدَهُ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ وَالثَّنَاءَ وَالْحَمْدَ
عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، وَالشُّكْرُ يُقَدَّمُ لِكُلِّ ذِي يَدٍ وَفَضْلِ ،
وَمَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ عَلَى مَعْرِوْفِهِمْ مَعَهُ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ . وَقَدْ أَدْرَكَ أَبُو
تَمَامٍ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي وَرَدَتْ فِي عِدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْكَرِيمَةِ ،
وَتَأَثَّرَ بِهَا وَاسْتَوْعَبَهَا وَوَضَّفَهَا فِي شِعْرِهِ ، إِذْ يَقُولُ فِي مِثْلِ هَذِهِ
الْمَعَانِي :

نِعْمٌ إِذَا رُعِيَتْ بِشُكْرِ لَمْ تَزَلْ نِعْمًا وَإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهِيَ مَصَائِبُ

فالشكر شرط لدوام النعم ، والنجاة من المهالك والمصائب ، عند أبي
تمام ، وما ذلك إلا لأنه استحضر قوله تعالى : إنا أرسلنا عليهم
حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر ، نعمة من عندنا كذلك نجزي من
شكر)) [القمر / 34 - 35] .

ومن صور أبي تمام الطريفة في المدح وصفه لممدوحه بأنه تجاوز الحدود في كرمه وجوده ، فهو مسرف في العطاء ، مبادر إليه ، وبذلك اتصف بخلق قد نهى عنه القرآن الكريم ، اسمعه يقول :

لَهُ خُلِقَ نَهْيُ الْقُرْآنِ عَنْهُ وَذَلِكَ عَطَاؤُهُ السَّرْفُ الْبِدَارُ

موضوع المديح في العصر العباسي المبالغة المفرطة التي تصل أحياناً إلى حدّ مستهجن . وقد نهى الله تعالى عن السرف في مواضع : من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى

((ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين))

[الأنعام / 141] ، وقوله تعالى [

((والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا))

[الفرقان / 67]

وكان أبو تمام (حاضر البديهة ، سريع الإجابة والإقناع ، يتخلص من المواقف الحرجة بذكاء ولباقة) من ذلك قصته حينما مدح أحمد بن المعتصم بسينيته المشهورة ، وكان الفيلسوف الكندي حاضراً ، وانتهى إلى قوله :

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

اعترض عليه الكندي ، وقال : الأميرُ فوقَ مَنْ وصفتَ ، فأطرقَ قليلاً ثُمَّ رفعَ رأسه ، وكان قد (زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها) ، وهما :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

ثُمَّ (استمرَّ في إنشاده حتَّى أتَمَّ القصيدة ، ولمَّا أخذتْ من يده لم يجدوا بها البيتين) ، وبذلك أُعْجِبَ الحضورُ من سرعته وفطنته .

وَعَلَّقَ الصَّوْلِي عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِقَوْلِهِ :

(أَي : لَا تَتَكْرَرُوا قَوْلِي : إِقْدَامُهُ كِإِقْدَامِ عَمْرٍو ، وَهُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ ، وَذِكَاؤُهُ كَذِكَاةِ إِيَّاسٍ ، وَهُوَ أَذْكَى مِنْهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ شَبَّهَ نُورَهُ بِمَا هُوَ أَقْلٌ مِنْهُ إِذْ كَانَ الْمَشْبَهَ بِهِ مِنْ أَبْلَغِ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ ضَوْءًا)

. قَالَ تَعَالَى ((مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا

مَصْبَاحٌ))

[النور / 35] .

ومن أجمل الصور الأدبية في شعر أبي تمام تلك الصورة
التي وجدناها في قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد
الطائي ، إذ ملك أبو تمام سحر الصور ، وافتنَّ بالألوان ،
فأرانا محمداً ساقطاً مضرجاً بدمه في ساحة المعركة ،
وجاء عليه الليل فأحال ثياب موته الحمر التي يلبسها
الأبطال سكان الدنيا ، إلى ثياب زاهية خضر من سندس ،
وهي لباس الشهداء في أهل الخلود.

فقد بلغ في مرثيته هذه ذروة البيان ، وسمام الفصاحة ، وقد حصلت هذه القصيدة على إعجاب النقاد قدامى ومحدثين . إذ قال عنها أبو دلف ، الشاعر الفارس : (والله لوددتُ أنَّها فيَّ ... لم يمُتْ من رُئيَ بهذا الشعر ، أو مثله) . وكان محمد بن حميد قد رثاه الشعراء (ومن أروع ما قيل فيه مرثية لأبي تمام) ، والذي يعيننا من هذه المرثية أثر القرآن الكريم فيها ، ومنها :

عَدَا عَدْوَةً وَالْحَمْدُ نَسَجَ رَدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدِسٍ خُضْرُ

فهو لم يمت على فراشه ، إنما استشهد في ساحات الوغى دفاعاً عن الإسلام وقيمه ، وقد استلهم أبو تمام قوله تعالى : ((أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الآرائك نِعْمَ الثواب وحسنت مرتفقا)) [الكهف / 31] في رسم هذه الصورة .

مما مرّ نلحظ بجلاء أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام ،
وما بيّناه ليس كل ما موجود من أثر قرآني في شعره ، فهل
يجوز أن يُتَّهَمَ بضعف دينه ؟ رغم تمكنه من معاني القرآن
وصوره ؟ حتى قيل إنه : (كان يحفظ القرآن الكريم ، ويقال
: لا يوجد شاعر من شعراء العربية تأثر بالقرآن تأثر أبي
تمام به) ، وهذا دليل على أنه :

(كان حَسَنَ الإسلام ، قويَّ عاطفةِ الدين) .

وخلاصة القول : إنّ ثقافة أبي تمام لم تكن وقفاً على
الشعر فحسب ، رغم كثرة ما حفظه منه ، وبالعودة إلى
، ديوانه نلحظ أثر القرآن الكريم جلياً واضحاً في شعره
(حتى كأنّه يضعُ نُصْبَ عينيه أحياناً النقلَ عن القرآن الكريم) .

المبحث الثاني

الألفاظ الإسلامية في شعر

أبي تمام

□ إنَّ الإسلامَ كان من العوامل التي أثَّرتِ العربيةُ بألفاظٍ جديدةٍ ، إذ (صار البلغاء والفصحاء من العرب يحاكون القرآن بأساليبهم ، ويجتنبون الغريب والحوشي من الألفاظ التي ينبو عنها السمع ويمجها الذوق السليم).

□ وكان أبو تمام قد استقى من فيض القرآن الكريم ، ومن حديث الرسول (ص)، ونهل من نبعهما الغزير ، مما أثرى لغته ، ومعجمه اللغوي ، وانعكس هذا على أسلوبه وجزالة ألفاظه ، فالألفاظ المستحسنة (تغذي العقول برحيقها الصافي ، وتشفي القلوب والنفوس).

وأثر الألفاظ الإسلامية ومضامينها يتجلى واضحاً بأبهي صورته في شعر أبي تمام ،
إذ نجد في معجمه اللغوي ما لا يحصى من الألفاظ والتراكيب الإسلامية ، منها على
سبيل المثال، لا الحصر :

الفتح ، الفتوح ، أبواب السماء ، بنو الإسلام ، المشركون ، دار الشرك ،
سنة الدين ، الإسلام ، أمير المؤمنين ، معتصم بالله ، منتقم لله ، مرتقب في
الله ، خليفة الله ، جرثومة الدين ، زكاة الجود ، الأبرار ، الخلد ، الله ، الهدى
، الإشراف ، العدل ، حبال الدين ، أسباب الهدى ، عمود الدين ، المعروف ،
الحسنات ، الكفر ، الصلاة ، إرادة الله ، الحسود ، واليقين ، الدين الحنيف ،
النبوة ، ظل الله ، التقوى ، رعاك الله ، رؤوف ، رحيم ، محمدياً ، حرم
الدين ، الضلال ، مقام إبراهيم ، زمزم ، الحطيم ، التوحيد ، اللطيف ،
الخبير ، الحج ، حجة الإسلام ، المبرور ، الغفور ، الشكور ، السعي ،
الذنب ، رمي بك الله ، رسول الله ، أسوة ، سنة ، كتاب ، المؤلفات القلوب ،
نوح ، القرآن ، المشكاة ، الأرزاق ، الأنفال ، الأنعام ، الخلافة ، الغسلين ،
الزقوم ، الحمد ، الأجر ، السندس .

وغير ذلك كثير .

ولا بد أن نشير هنا إلى أن هذه الألفاظ والتراكيب الإسلامية
تتكرر كثيراً في شعر أبي تمام ، وسنقف عند بعض صور أبي
تمام التي كانت هذه الألفاظ والتراكيب أبرز عناصرها . فمن
ذلك قوله :

فَنُحِّ الفَتوحُ تعالى أن يُحيط به نَظْمٌ من الشُّعرِ أو نَثْرٌ من الخُطبِ

فَنُحِّ تُفَنِّحُ أبوابُ السَّماءِ له وتَبْرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشبِ

ومن الصور الجميلة في ملحمة أبي تمام في فتح عمورية : الربط
بين هذا اليوم ويوم بدر الذي انتصر فيه المسلمون على المشركين
بقيادة الرسول الكريم ص ، إذ يقول :

فَبَيْنَ أَيامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

وفي صورة بديعة أخرى يربط بين يوم لأبي سعيد الثغري ، وهو
يقاتل الضال الخرمي ، وبين أيام الإسلام الخالدة ، بدر وأحد ،
فيقول :

يَوْمٌ يَجِيءُ إِذَا قَامَ الْحَسَابُ وَلَمْ يَدْمَمَهُ "بَدْرٌ" وَلَمْ يُفْضَحْ بِهِ "أَحُدٌ"
أي : يحمده يوم بدر لموافقته إياه ، ويحمده أحد لانتصاره له من
الكفار .

ويرسم أبو تمام لوحة أدبية عناصرها الألفاظ الإسلامية التي تعبر عن الشرف والجود والمعروف ، هذه الخصال الحميدة التي يتخلق بها مالك بن طوق ، أحد أبطال الإسلام وأجوادهم ، اسمعه يقول :

فَتَى جَعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ سَرِيحاً إِلَى الْمُتَمَتِّحِ قَبْلَ عِدَاتِهِ
وَلَوْ قَصَّرَتْ أَمْوَالُهُ عَنِ سَمَاحِهِ لِقَاسِمٍ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ
وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِلَّةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ وَأَسَاهَمَ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

إنها لصورة شعرية نلمس فيها الجدَّ والطرافة ، وقد استعان أبو تمام بالتجسيد والمبالغة والتهويل في رسمها .

و عندما يقدّم التهنئة بالحج لأحد ممدوحيه ، يأتي بالألفاظ التي يتداولها المسلمون في دعائهم للحاج ، يقول :

إِمَّا حَجَّجْتَ فَمَقْبُولٌ وَمَبْرُورٌ مُوقِّرُ الحِطِّ مِنْكَ الدَّئِبُ مَغْفُورٌ
قَضَيْتَ مِنْ حِجَّةِ الإِسْلَامِ وَاجِبَهَا ثُمَّ انصَرَفْتَ وَمِنْكَ السَّعْيُ مَشْكُورٌ

وأبو تمام يتحدث عن الثغري ، وهو يقوم بأداء فريضة الحج ، ويذكر البيت الحرام ، وتقبيل الركن ، والحجر الأسود ، الذي كان تقبيله سنة محمدية ، يروى عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنه قال : (أَمَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ حَجَرٌ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ □ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ) . فيستحضر أبو تمام هذه المعاني في قوله :

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ البَيْتِ نَافِلَةً وَظَهَرَ كَفَّاكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ

المبحث الثالث

المضامين الإسلامية في
شعر أبي تمام

إنّ اللغة العربية غنية في معانيها وألفاظها ، وزاد من ثرائها الإسلامُ بفعل **القرآن الكريم** ، والمفاهيم الإسلامية الجديدة ، ودخلتها ألفاظ كثيرة ، ومضامين جديدة ، لم نعهد لها في العصر الجاهلي ، وقد ازدهرت ونمت اللغة وتطورت في عصر شاعرنا ، وأبرز الأمور التي حصلت في اللغة العربية :

**تهذيب ألفاظها وأساليبيها بتأثير
الكتاب والسنة**

وقد رأينا في المبحث الأول كثرة اقتباسه واستعاراته من **القرآن الكريم** ، وفي المبحث الثاني كثرة الألفاظ الإسلامية ، وفي هذا المبحث سنتناول المضامين والمفاهيم الإسلامية في شعر أبي تمام . فإذا وقفنا على قصيدته الرائعة في فتح عمورية ، نجد المضامين الإسلامية واضحة من مطلع القصيدة ، فهو يستهلُّ هذه القصيدة بقوله :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
فأبو تمام لا يقصد الكتب المقدسة أو العلمية ، إنما قصد ما ورد في كتب السحرة والمنجمين ، فهو يتهمك بهم (وقد استهلها بتفضيل القوة على العقل ، والسيف على الكتب)

وقد يستلهم أبو تمام معنى لآية قرآنية ، أو حديث للرسول (ص) في بناء صورته الشعرية ، والتعبير عما يدور في ذهنه ، فالخطب الشديد يلتقي بسواد الليل المظلم ، ويشترك مع الظلمة والشدة ، يقول :

أَنْتَهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةٌ مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكُرْبِ

والهاء في (منها) ضمير يعود إلى عمورية ، وكأنه يستعير معنى الأثر المشهور (فتن كقطع الليل المظلم) .

إنَّ الخليفة المعتصم لا يكاد يقصدُ بلداً لحربه وقاتله في سبيل الله ، حتى (يتولى أهله من دونه هرباً ، إذ يتولاهم الرعب ، ويدب في قلوبهم الخوف ، ويسيطر عليهم الهلع) . ويصور أبو تمام هذا المشهد بقوله :

لَمْ يَعْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرَّعْبِ

فالمعتصم يسبق جيشه الحربي إلى بلاد العدو (جيش نفسي من الخوف والرعب) يقاتل معه في صفوفه . ومضمون هذا البيت استمده أبو تمام

(من حديث الرسول ص :) **نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**

وقال أبو تمام في أحد ممدوحيه :

يَقُولُ فَيُسْمِعُ وَيَمْشِي فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيُوجِعُ

وهذه صفاتُ عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، التي وردت في وصف أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، له إذ قالت :

**كان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ،
(وإذا ضرب أوجع) .**

ويوظف أبو تمام حدثاً تاريخياً عظيماً في شعره ، وأعني به الهجرة ،
ويؤكدُ بأسلوب استفهامي عظيمة هذا الحدث ، وعظمة المهاجرين وفضلهم
على مَنْ سواهم ممن دخل الإسلام بعد الفتح ، فيقول :

وَهَلْ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْفَتْحِ يَسْعَى كَصَاحِبِ هَجْرَتَيْنِ مَعَ النَّبِيِّ ؟

وهو يعني (بالفتح) : فتح مكة ، وكانت الفضيلة لمن هاجر قبل ان تفتح ،
(والهجرتان) تحتمل وجهين :

أحدهما : أن تكون هجرة الصحابة إلى الحبشة ، لأنهم هاجروا مرتين .
والآخر : يعني بالهجرتين : الهجرة إلى الحبشة ، والهجرة إلى يثرب .

(وأبو تمام استوعب التاريخ الإسلامي ، وقبل ذلك حديث النبي (ص

(لا هجرة بعد الفتح)

و عندما يفتخر بشعره ، ويصف قصائده بالسحر الحلال ، إنما
استوعب حديث الرسول (ص) :

(**إنَّ من البيان لسحراً ، ومن الشعر لحكمة**) ،

اسمعه وهو يخاطب أبا سعيد الثغري ، بقوله :

فأين قصائدُ لي فيكَ تآبى وتأنفُ أن أهانَ وأن أدلَّ
من السّحر الحلال لمجتنيه ولم أرَ قبلها سِحراً حلالاً

الخاتمة

من المفيد في خاتمة البحث إبراز نتائجه على النحو الآتي :

(1) اقتبس أبو تمام كثيراً من صورته الشعرية من القرآن الكريم ، وهذه الصور تُظهر قدرته الإبداعية ، وتدل على مدى استيعابه لمعاني القرآن الكريم .

(2) إنّ أثر الإسلام الواضح في شعر أبي تمام يُفندُ الآراء التي ادّعت عليه الكفر ، فكيف يصحُّ الكفرُ على شاعرٍ شعره جلّه يشهد بضدِّ ما اتهموه ؟

(3) فضّله بعضُ النقادِ وعلماءُ الأدب على شعراء عصره ، فكان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً .

(4) استوعب أبو تمام القصص القرآني استيعاباً دقيقاً ، ووظّف ذلك في بناء صورته الشعرية .

(5) بلغ في بعض قصائده ذروة البيان ، وسنام الفصاحة ، ونالت هذه القصائد إعجاب النقاد والباحثين - قدامى ومحدثين- ، وما حصل ذلك إلا لأنه عرف كيف يوظّف الألفاظ والمفاهيم الإسلامية فيها ، ومن ذلك قصيدته في فتح عمورية ، ومرثيته في محمد بن حميد ، وغير ذلك .

(6) كان أبو تمام يحفظ القرآن الكريم ، ولا يوجد شاعر من شعراء العربية تأثر بالقرآن الكريم تأثر أبي تمام به .

(7) إن معجم أبي تمام اللغوي فيه ما لا يُحصى من الألفاظ والتراكيب والمفاهيم الإسلامية .

(8) تمكن أبو تمام من الربط بين أيام الحرب التي خاضها أبطال الدولة العباسية ، كالمعتصم وقادته كالثغري ، وغيرهم ، وأيام الإسلام الخالدة كبدر وأحد ، وهذا التوظيف أو الربط يدل على فهم عميق لأيام العرب في الجاهلية والإسلام .

(9) إنَّ أبا تمام أبدع الإبداع كلّهُ في اختيار ألفاظه ، وصياغة تعابيره ، وتحميل اللفظ أكثر من معنى ، وكان قد استند في ذلك على فهمه واستيعابه للثقافة الإسلامية التي تركز على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

(10) إنَّ أثر الإسلام يشكل ظاهرة كبيرة في شعر أبي تمام ، ونلاحظ ذلك في كثرة اقتباساته واستعاراته من القرآن الكريم ، وفي الألفاظ والمفاهيم الإسلامية التي وظّفها في شعره .



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ